



نكبة فلسطين في شعر المهجر

بقلم فريد حجا

- ١ -

نزلت (✱) بالامة العربية كوارث ونكبات كثيرة ، ولكن نكبة فلسطين هي النكبة العظمى والكارثة الفادحة . ولقد أتت فداحتها من أمرين : أولهما ، ان قطرا يحتل منزلة القلب من جسم الوطن العربي قد سرقه شعب غريب مجرم . والثاني ، ان أبناء هذا القطر قد اكرهوا على التخلي عن ديارهم ومساكنهم ، وشردوا في الآفاق ليعيشوا حياة اللاجئين الشقية .

والحقيقة ان نكبة فلسطين ليست مأساة عربية فقط ، وانما هي مأساة انسانية ايضا ، اذ لم نعرف في تاريخ البشرية أن وطننا سرق على هذا الشكل ، وان شعبا قد أهين وشرذ على هذا المنوال . أننا مع الشاعر القروي في قوله : « ان نكبة فلسطين لا يماثلها نكبة ما لا في الارض ولا في السماء ، وكل خطب مهما فدح يهون بالنسبة اليها . وكل انسان عربيا كان ام غربيا لا يحزن لها ولا يغضب ولا يثور ، فقد تجرد من كل شعور ، وكل انسانية ، وكل دين » . (١)

تركت هذه النكبة اثرا عميقا في تاريخ العرب الحديث ، انها هزت أعماق النفس العربية هزا عميقا ، ونهتها الى امور كثيرة أخطرها : ان الحق للاقوياء العلماء ، وان لا مكان تحت الشمس للجهلة الضعفاء ، وان على العرب لكي يستردوا الوطن السليب ان يعتمدوا على انفسهم .

وكان لا بد بعد هذا ان تترك النكبة اثرها في الشعر العربي . وقد لخصت هذه الاثار في الامور التالية : « انها قدمت للشعر زادا لا ينفد ، وانها أغنت العنصر العاطفي في الشعر ، ونفخت روح التمرد والانطلاق والثورة ، ودفعت الشعراء المعاصرين الى التطور والتجديد ، وغلبت على الشعر المعاصر الاتجاه الالزامي الهادف » . (٢)

- ٢ -

وما دامت النكبة عربية وانسانية ، فان من الطبيعي ان تترك أصدا كثيرة لدى عرب المهجر الذين نعرف جهم لوطنهم واهتمامهم بقضاياهم . انها هزت قلوب المهاجرين حتى الاعماق ، ودفعت الشعراء والادباء الى ان يبكوها ويحملوا على مسببها .

ولقد حدثنا الاستاذ اكرم زعيتر في كتابه « مهمة

(✱) الفصل الخامس من كتاب قيد الطبع بعنوان « العروبة في شعر المهجر » .

(١) الديوان - ص ٧٠٢ - الطبعة الجديدة .

(٢) مأساة فلسطين واثرها في الشعر المعاصر - محاضرة للدكتور

صالح الاشر - دمشق ١٩٦١

في قارة» بالتفصيل عن الحفاوة التي لقيها الوفد العربي الذي سافر الى اميركا اللاتينية عام ١٩٤٨ لشرح قضية فلسطين . كان الوفد يستقبل من قبل الجاليات استقبالات تيق بادوك وانا موضع الترحاب في كل مكان ينزل به ، كما قدم المهاجرون كل مساعدة له لينجح في مهمته .

وليسست هذه هي المرة الاولى التي يهتم فيها المغتربون بقضية فلسطين ، فنظاما اقاموا الحفلات الخطائية من اجلها ، وبخاصة في عام ١٩٣٨ ، ذلك العام الذي شهد انتصارات الثورة العربية الفلسطينية ، تلك الانتصارات التي اضطرت الحكومة البريطانية الى عقد مؤتمر المائدة المستديرة في لندن ، والى اصدار « الكتاب الابيض » الذي كان فيه شيء من التراجع عن السياسة الممالئة للصهيونية .

ولا ننس المناظرة التي اجراها امين الريحاني في « سان فرانسيسكو » مع حاخام يهودي وحاكم بريطاني سابق في فلسطين ، حيث استطاع الريحاني ببديته وذكاؤه وموهبته الخطائية ان ينتزع النصر من خصميه حين ابطل مكيدتهما بتفديمه للكلام قائلا : « أعطيت حق الكلام اولاً على اعتبار ان الحق الاول في فلسطين هو لامتى العربية . وعليه فانا أشكر لزميلي هذا الاعتراف الصريح منكما » . (٣)

وفد ذكر الاستاذ زعيتر ان لجنة للدفاع عن فلسطين تألفت من الجاليتين اللبنانية والسورية في « سان باولو » بعد قطيعة استمرت سبعة عشر عاماً ، فلقد جمعت النكبة القلوب المختلفة التي وحد بينها الهدف المشترك .

- ٣ -

ولا شك ان الشعراء على اختلاف اتجاهاتهم السياسية كانوا يهتمون بهذه القضية . كان الاستاذ زعيتر يثني في كل مدينة يزورها على الادباء وما يقدمون للوفد من مساعدات معنوية لا تقدر بثمن . لقد ذكر بالخير كل الخير « القروي وفرحات وسمعان وعراب وصيدح وقتنصل وقربان والمعلوف » كما اطلق هو نفسه على القروي القلب المشهور « قديس القومية العربية » .

كانت لا تمر مناسبة الا وينتهزها الشعراء للتعرض لقضية فلسطين . كانت الاعياد مثلاً تنقلب الى ماتم ، كيف يحتفل القروي بعيد المولد النبوي وفلسطين نازل بها الشر ؟

أهني النفس اني لا أهني
مسائرة لكم ويقال : اني ...

يهنسي بعضكم بعضا وانسي
أنقض مبني وأخون عهدي

(٣) ادبنا وادبنا ص ٢٢٤

ويهدي الياس قنصل ربايعاته التي نظمها في
الارجنتين وطبعها في دمشق عام ١٩٥٦ « إلى الجنود
العرب الذين سيدخلون تل ابيب ليدكوا دولة العصابات
على رؤوس بناتها ، رمزا لايمانه بأن النصر القريب ، لنا،
للحق ، للعروبة الخالدة » .

« ويتطوع الشاعر القروي للطواف على المواطنين
المتفرقين في المدن والقرى لجمع التبرعات منهم لاغثة
فلسطين بها ، وكان يبيع في جولته جوارب أوتمن عليها
من احد تجار سان باولو لكي ينفق على نفسه من ارباحها،
لا من مال التبرعات » . (٤)
وفي ابينات له مؤثرة يصف ما لاقاه من تعنت
المواطنين وشحهم ، ومنهم :

أفصول ما أرى ام غيرة
أنحلت علة غيري جسدي
يا بنسي امي هل كلفنكم
طالما سابق عسري يسرركم
ان وهبتم فضل مال فاننا
ولكم باذل فلس يدعي
انا راض حاسب كل يد
سايروني واخدموا اوطانكم

أوقرت ظهري وهدت منكيا
وأسالت كبدي من مقلتيها
حمل عبء لم يهشم ساعديا
حين لا املك الا اصغريا
نازف ما في عروفي ويديا
انه لولاي لا يبذل شيئا
تنفع الامه مهداة اليها
واحسبوا المنة يا قومي عليا

وفي الوقت نفسه كان الشاعر صيدح يطوف في
مدن الأرجنتين ونواحيها وفي يده ديوانه « النوافل »
الذي طبعه ورصد ريعه للمتكوبين :

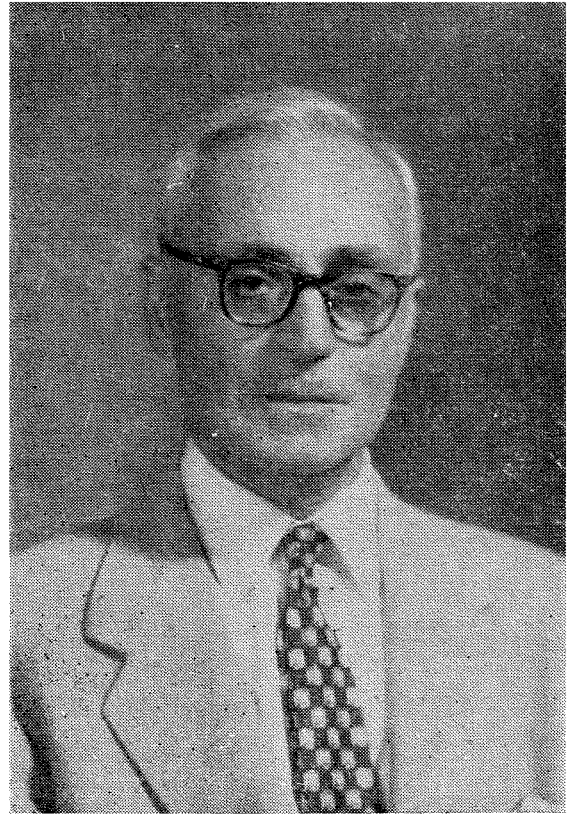
يا أهل ودي لا أكلفكم
سرايكم لا ترتوي كبد
لا تحسبوا عتبي لوجدة
احبتكم وبلوت نجدتكم
حققت ان دموعكم كرم
فرغت يدي منكم وما فرغت
لم يبق فيكم من عروبتكم
ان الصروبة يا بلبلها

ترفيه همي انه عرم
لم تردها الفدان والديم
الله ما بيني وبينكم
فاذا الذي استجدتسه صنم
في الوعد لا في غيره كرم
أذني كان لبائتي نغم
الا لسنان مفصح وفم
روح على كف الفتى وفم

- ٤ -

وكم صور الشعراء في المهاجر الآمهم لهذه القضية
التي نزلت بأمتهم . ان نسيب عريضة في عام ١٩٣٨ ،
وقبل النكبة بعشر سنوات ، يقدم لنا حاله في الهجر :
صدر يعلو ويهبط ، ودم يراق تحيات ، ونوم لا يطيع ،
وتوق إلى ساحة المجد ، ولكن الساحة بعيدة ، لذلك
يمسي على ثورة ، ويصبح على دمة :

(٤) المصدر السابق - ص ١٢٧



الشاعر القروي

أرى تفاح هذا العيد جمرا
وأس ناعم الازهار شوكتا
ويطرف ناظري حسن الفواني
أرضي والرسول قتيل غيظ
وعندما يقف « الغراب الغازي » على نافذة الشاعر
صيدح في « بحدون » يخيل إليه انه آت من اسرائيل
ليسرق داره كما سرق اليهود فلسطين :

تطيرت من ناعب في الصباح
مفير يمزق شمل الرياح
تقزز منه عيون الاقبح
تسرب فسي غرفتي واستراح
أناي جدار الغراب الوقاح
ومن أتيا الطير ان اجتياح
وان اتسبسي الى يعرب
يحلل ماواي للاجنبي

تأليف :

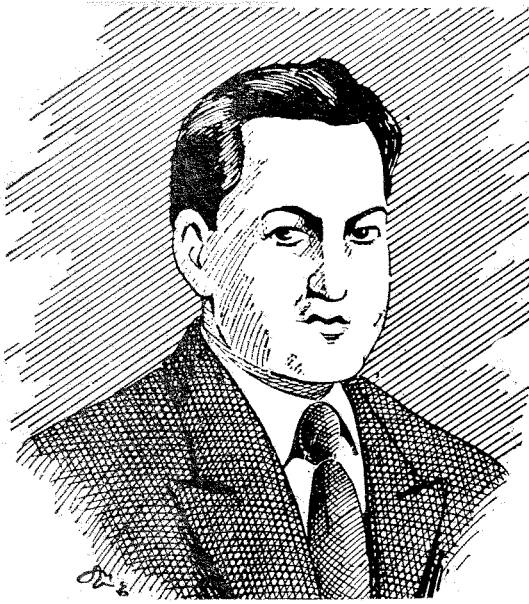
الدكتور خير الدين حسيب

صدر حديثا :

تقدير الدخل القومي في العراق

١٩٥٣ - ١٩٦١

عن دار الطليعة - بيروت ص. ب ١٨١٣



نسيب
عريضه

فلسطين من غربة موثقة
فتعلو وتهبط منا الصدور
ومن خلف هذا الخضم البعيد
فلسطين كم أرق بيننا
الى ساحة المجد فيك يتوق
فيمسي على ثورة في الحشا
ويتمنى زكي قنصل لو أن السبيل ممهد الى مهد
السلام . ولكن كيف يتم ذلك والليل داج والطريق طويل
طويل ! ان اشواقه عاتية عاتية ، وقلبه يقطر دمعا ودما ،
ويكاد الظلام يطوي سفينته لولا بصيص من رجاء :

هل لي الى مهد السلام سييل؟
عصفت بي الاشواق عاتية اللظى
لتكاد تفرق في الظلام سفينتي
هيهات يحملي جناح خافق
كذلك يشق على أبي ماضي أن تحزن ارض السلام،
لذلك يسهر كان السيف تقطع كبده ، وكيف ينام وخطب
فلسطين خطب أعلا ، وما هو بهين :

الظالم
ذنب الطفلة كذنب الخانعين لهم
سيدكر العار ان العرب دمرهم
وليس يبرا من اثم الونى احد
والفرقة والانقسام - في رأي الشاعر صيدح -
هما سبب النكبة :

يمينا لم ينل منا مراما
ولا اغتصب الحمى لو لم نمهد
ونحن الذين صنعنا اقدارنا بأيدينا فلا نلقينها
على غيرنا :

اقدارنا صنع ايدينا فما جرحنا
الا بسهم وضعناه بأيديها
اما القروي فيعمل سبب العون الكبير الذي تقدمه
اميركا لليهود في رسالة ارسلها الى صديقه صيدح من
الولايات المتحدة بقوله : « التوراة في كل بيت ، عند كل
سرير ، ولا تكاد تخلو منها غرفة في فندق . وقد هالني
ما رأيت من سلطانها على العقول التي أوشكت ان تفقد
مرونتها وتعدم تفكيرها . والتوراة أقوى وأفتك سلاح
يتذرع به اليهود للفوز بآرهم ، وأول آآرهم فلسطين »
ويرى الشاعر فرحات أن سبب ضياع فلسطين
ولواء الاسكندرون هو فقدان العزة والحياء من وجوه
الزعماء الذين نصب شعورهم فأصبحوا اذلاء ، وخاب أمل
عقدناه على ابائهم :

هندي وذاك لنا ولم نخسرهما
نصبت فانصبت الشعور وكذبت
لو ان في بعض الوجوه حياء
شما تبجحنا به واباء

- ٦ -

ولقد كانت **خيانة الملوك والرؤساء** آنذاك وتخاذلهم
وانقسامهم ومطامعهم أهم أسباب النكبة . لذلك شن
شعراء المهجر عليهم حملات شعواء تتناسب والجرم الذي
أقدموا عليه .

فالياس قنصل يظنهم اسودا لكثرة ما القوا من خطب؛
ولكنهم يوم الغضبة للوطن تحولوا - يا للعار - الى ديوك
حسبناهم اذا غضبوا اسودا فكانوا يوم غضبتهم ديوكا
ولو كان الكلام يشيد عرشا
لكان العرب اغلبهم ملوكا
وكان فرحات يظن صاحب التاج صقرا فلما غزيت
الديار المقدسة ، انقلب الملك المتوج الى هدهد حقير :
ملوك ظنناهم اسودا وعندما
غزينا راينا صاحب التاج هدهدا

ديار السلام وأرض الهنا
فخطب فلسطين خطب العملا
سهرنا له فكان السيو
وكيف يزور الكرى أعينا
ولا يجد القروي دمعة يذرفها على امه التي يعبدها،
فبكاؤه على المليون من اللاجئين قد انضب دمعه :

أبعد فلسطين يناح على فتى
وما الحقد من طبيعي ولكن اذا بغى
وتشرق مقلة الشاعر صيدح بالدموع الكثيرة ،
فيا أيها اللائم لا تلمه ، أما هدر دم الأمة ؟ أما استشهد
الحق ؟

شرقت بمائك يا مقلتي
فيا لآمتي ان هدرت الدمو
اما استشهد الحق حيث الرجال
والحسن حوله في الدنيا ، وهو متجهم متألم يرحد
هنا وهناك : زاده الالم وصاحبه الجزع على الاوطان ،
وعلى لسانه سؤال رهيب : هل انطوى علم العروبة في
فلسطين :

ما لي اطوف وقبلي حلم
الحسن يضحك في الربى وأنا
جزعي على الاوطان يصحبنى
بل ان بعض الشعراء قد بلغ بهم اليأس والالم حد
الكفر بحكمة الله ، والا ما سر هذا الشر الكبير ينزل
بالقدس . ان صرعة الحق قد زعزعت ايمان الشعراء
القروي بالحق والباطل :

واحيرة العاقل في خالق
يفعل ما لو غيره فاعمل
القدس لم تزن فما بالها
كم صرعة للحق قد زعزعت

قضى وامضى بشقا العاقل
لقامت الدنيا على الفاعل
ترجم عن بابل من بابل
راي في الحق ، وفي الباطل

- ٥ -

وإذا أردت معرفة **اسباب النكبة** ، وجدت الجواب
على ذلك لدى شعراء المهجر . ففي رأي الياس قنصل
ان الذل في الاخلاق هو سبب ضياع القدس :

انا خسرنا القدس وهي وديعة
ما كان من وهن السلاح ضياعها
وجميع العرب مسؤولون عن ذلك ، مسؤولون لانهم
خنعوا وسكتوا ، ولان ذنب المظلوم حين يقبل الظلم كذنب

فذلك الامير الذي طفا نجمه على الزيت لا يسقي
العرب الا السراب . يقول فرحات :

وصاحبنا الطافي على الزيت نجمة سفانا زلال الآل في غمرة الصدى
وهؤلاء الاغنياء العرب ، ماذا تفيد ثروتهم اذا ابعدهم
عنهم مجد امتهم ، بل ما أفقر الانسان مهما بلغ ماله حين
يفقد وطنه .

ونمضي مع الياس فرحات في هذه الابيات من
قصيدته التي يصنع فيها الامراء اصحاب الملايين ، حين
يشمى - وهو الفقير - لو ملك نפט الكويت ليحيله جنودا
يمشون فوق جثث اليهود لتحرير الديار المقدسة :

ماذا يفيد العرب ثروة بعضهم ان كان حائظ بعضهم مسودا
ما أفقر التمويل اذا همو كسبوا بخسران البلاد تقودا
لو كان لي نפט الكويت جعلته يمشي على جثث اليهود جنودا

- ٧ -

ولم يسلم الشعب العربي بعد الملوك والزعماء من
لوم الشعراء وحملتهم ، بل ان بعضهم عده مسؤولا ايضا.
ان الطغاة - كما يقول الياس فنصل - جنوا علينا فما
ثارت حماسنا فذنبنا كذنبهم :

جنوا علينا فما ثارت حماسنا غيظا ولا خف تحت السوط تهليل
ذنب الطغاة كذنب الخانعين لهم سيان في الجرم ظلام ومدلول
وفي عيد المولد النبوي يأبى القروي ان يشارك في
العيد ، ويخيل اليه انه يسمع وعيده وتفريعه ، وهو تقريع
قاس قاس يستحقه الشعب الذي يبيع ارضه لليهود ،
ثم يحتفل بعيدة :

وعيد هائل سمعته روحي ولولا لفظكم سمعته اذني
يفجره النبي شواظ نار على شط وبادية وحزن :
أمسخره الشعوب لعنت شعبا ذليلا لست منك ولست مني
تعيد لي وانت تبيع ارضي وعرضي لليهود ، اليك عني «

ويتألم الشاعر صيدح للوعود تبذل في المهجر كلاما
وأرقاما على الورق . وفي الوطن الكلام كثير ، والناس
يفتخرون بأجدادهم الجابرة وهم الاقزام . ما أشبههم
بالظلال تفخر بأطوادها . اما فلسطين فهي تجد كل شيء
الا السلاح والزاد :

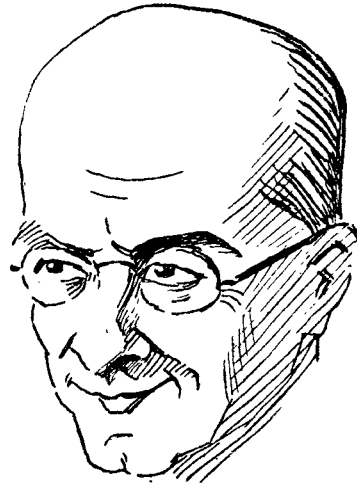
وفي مهاجرنا الاصوات عالية والجود يضرب أصفارا بأحاد
مرحى فلسطين مهما تطلبي تجدي الا السلاح والا بلفة الزاد
ما في الشام ولا لبنان السنة الا وذكرك فيها رائح غاد
فخر المسوخ بأجداد جبابرة فخر الظلال استكانت تحت أطواد

ويسأل الشاعر الصارمي في حفلة استقبال السفير
الشاعر « أبو ريشة » في الأرجنتين عن اخبار الوطن ،
وعن انباء الراية الواحدة متى تظلل أقطاره . ثم ينثني
- والالم يعصر فؤاده - ليسأل عن فلسطين متى يعود
اليها المجد ، وهل يظل اليهود فيها عبئا ثقيلا ؟ ويعجب
كيف استكان العرب للهوان وهم أبناء قحطان وكيف أطمأنوا
لحياتهم ، والعز طعين مقتول ، ومئات الالوف من اللاجئين
مشردون :

انضم البلاد رايتها الكبرى وشيكا ام ذاك امر يطول
أيؤول المجد المضيع في القدر س ، ام المجد غاله الدهر غول
أبطل اليهود عبئا ثقيلا ام لها يومها الامر الوبيل
كيف فرت على الهوان وما أبناء قحطان للهوان سليل
واطمأنت الى الناصب والعز طعين بصدرة وقتيل

ومئات الالوف من أسر الشعب جيع مشردون فلول (٦)
فريد جحا

(٥) الكلمة للاستاذ نيقولا الحداد (٦) للبحث تمة في العدد القادم



إليسا
ابو ماضي

ولذلك يري الشباب - عندما يخاطبهم - كيف
تخاذل الملوك والامراء ، وكيف ذلوا ليحموا القابهم . ولمن؟
للصهاينة ، أذل من وطىء الثرى . كلامهم امام قومهم
زئير ، وأمام العدى مواء ، وسيدك الشعب عروشهم :

أرايتم الزعماء كيف تخاذلوا أرايتم الاقيال والامراء
ذل الجميع على حمى القابهم لأذل من وطىء الثرى استخداء
يتزاورون كأنهم أسد فان لمحو العدى انقلب الزئير مواء
لو شاء هذا الشعبك عروشهم وأزال كل متوج لو شاء
وقبل هذا يهزا بالقابهم الضخمة وكرامتهم الهزيلة
التي ديست بأقدام اليهود :

واذا لفت ذوي الجلالة من ساداتنا المتحكمين بنا
وذوي السمو وكل ذي لقب خاو كصاحبه قليل غنى
فاهزا بالقاب لهم سميت وكرامة هزلت أسى وضنى
ديست بأقدام اليهود في شم الانوف استششقوا الدنا
ويصورهم الشاعر صيدح كما كانوا أثناء القتال
بصورتهم البشعة وخصامهم الكريه وأطماعهم التي
تقدمت جيوشهم :

أما اختصموا في الحمى المستباح خصام الصقور على الجثة
فهذا سريع الى السائبات وكان بطيئا الى النجدة
وهذا ملك قريع الحروب يؤوب من النصر بالهدنة
أعدوا فيالق أطماعهم على رأس جيش بلا عدة
لذلك يدعو في قصيدة اخرى الى الثورة عليهم
ما داموا قد أصبحوا رمما ، والشعوب يقودها الاقوياء
الاحياء ، لا الاموات الأذلاء :

دنيا العروبة أدبرت ومشت مقلوبة من رأسها القدم
العابثون بحفنا اتحدوا والقائمون بامرنا انقسموا
حتى من هذا الخنوع لهم يا امة دانت لها الامم
ثوري عليهم انهم رسم بشس الشعوب تقودها رسم

ولا ينسى الشعراء ملوك الزيت وامراء الذين
بخلوا حتى بالتهديد بقطع الزيت عن دول المستعمرين
مكتفين باطلاق التصاريح الجوفاء ، كقول عبد العزيز
آل سعود عام ١٩٤٧ : « ان فلسطين عزيزة عليه ، وانها
بؤبؤ عينيه ، وانه لا يرضى لها الا ما يرضاه لنفسه » . اما
عند الشدائد فلا شيء الا الوفاء بالالتزامات تجاه من
اسعفوا اسرائيل وسندوها . ونسوا ان « زيت الحجاز
والعراق والكويت ليس لاهل الحجاز ، ولا لاهل العراق ،
ولا لاهل الكويت ، انما هو ملك لله ، لانهم لم يزرعوه حتى
يستغلوه ، ولا صنعوه حتى يتاجروا به ، فيجب ان
يدفعوا ضريبة ثقيلة لله عليه » (٥) .